

ماذا يعنى علم الاستغراب؟
مركز الدراسات المعرفية - القاهرة

2009/2/4

أ. د / حسن حنفي



تقديم أ.د. رفعت العوضي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يسعدنا أن نقدم لكم الأستاذ الدكتور حسن حنفي أستاذ الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة في لقاء حول ماذا يعنى علم الاستغراب؟ ومع أهمية الموضوع لعلني أقول لكم أن الدكتور حسن حنفي عُرف بإنتاجه العلمي الغزير وعُرف أيضاً بمواقفه العلمية العديدة، وأذكر هنا بعض إنتاجه العلمي:

- 1- حقق كتاب أبي الحسن البصري المعتمد في أصول الفقه ونُشر في جزأين ونشر في المعهد الفرنسي في دمشق
- 2- وله كتاب الحكومة الإسلامية للإمام الخميني.
- 3- كتاب الجهاد الأكبر للإمام الخميني.
- 4- أشرف على سلسلة اليسار الإسلامي.
- 5- كتب في النهضة الإسلامية.
- 6- جمع كثير من الكتب مثل نماذج من الفلسفة وله مؤلفات بالعربية منها قضايا معاصرة جزآن
- 7- له كتابات في التراث والتجديد وموقفنا من التراث.
- 8- له دراسات إسلامية
- 9- كتاب من العقيدة إلى الثورة .
- 10- وله دراسات فلسفية ومؤلفات كثيرة في اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية وكتاب

ماذا يعنى علم الاستغراب وهو موضوع المحاضرة اليوم.
وكل كتاب من الكتب التي أشرت إليها وهي كتب كثيرة يمثل قضية فكرية وموضوع الاستغراب واحد من أكبر القضايا التي تشغل بال الأمة وأستاذنا له كتاب مقدمة في علم الاستغراب، وعندما يستضيف المعهد العالمي للفكر الإسلامي في مركز الدراسات المعرفية السيد الدكتور حسن حنفي حول موضوع ماذا يعنى علم الاستغراب؟ فإننا نفتح حواراً واسعاً حول هذا الموضوع ولعلني أقول أن الهدف هو دراسة موضوع الاستغراب وهو يرقى ليكون علماً أو مقررأ دراسياً .

وما نقدمه اليوم هو دراسة لهذا الموضوع ولا أحب أن أطيل عليكم لأننا جئنا لنسمع وبعد المحاضرة سنفتح حوار حول الموضوع والآن يسعدني أن أقدم لكم الدكتور حسن حنفي فليتنفضل.

محاضرة أ.د.حسن حنفي بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الأخ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان والدكتور فتحي ملكاوي والأخوة والأخوات. في الحقيقة عندما أت إلى هذا المعهد وهو المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ومركز الدراسات المعرفية، ومركز حوار الحضارات وعندما أقرأ أسلمة المعرفة وتقرير حال الأمة وهي علامات بارزة في الفكر الإسلامي الحديث وآخر ما وصل إليه الفكر الإصلاحي التجديدي من انفتاح على الثقافات الأخرى أشعر أنني بين أهلي وإخوتي فكلنا دعاه وإن اختلفت السبل سواء استعملنا بتميز ابن رشد مناهج خطابية أو مناهج جدلية أو مناهج برهانية وأنا أؤثر المناهج البرهانية، فأنا في الجامعة في قسم الفلسفة وبالتالي لا غنى لنا عن البرهان بديلاً {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة: 111)، كلنا أصحاب قضية وهي نفس القضية وإن اختلفت الوسائل، أحياناً يختلف أسلوب الخطاب إذا كنا نتحدث بين أنفسنا ولأهلنا أو نتحدث للخارج مع الآخر، فمخاطبة الداخل غير مخاطبة الآخر، هنا أنا في بيتي مع إخوتي هناك أنا مع الآخر، وهذا كان خلافي دائماً مع المرحوم إسماعيل الفاروقي منذ أكثر من أربعين عاماً على تعليم الطلاب وتوجيههم في جامعة فيلادلفيا، هو كان يريد أن يقوي فيهم روح الإيمان والهوية والدفاع عن الإسلام، وأنا أريد أن أقوي فيهم روح العلم والبرهان (أقلية وسط أغلبية)، يقول لي، وأنا أقول له ولكنهم سيعودون إلى البلاد وبالتالي يعيشون وسط الأغلبية التي لا تخاطر بهويتها ولا بإسلامها ولا بإيمانها ولكنها تخاطر بعقلها وتخاطر بعلمها وبالتالي لا بد أن يعودوا للبلاد وهم مسلحون بالعلم والبرهان. على أية حال كم أنا سعيد بحضوري معكم اليوم.

عندما صدر كتاب "من العقيدة للثورة" غضب الإسلاميون ظناً منهم أنني أنقد العقيدة وفرح العلمانيون. وعندما صدر "مقدمة في علم الاستغراب" فرح الإسلاميون ظناً منهم أنني أنقد الغرب وغضب العلمانيون ظناً منهم أنني أخذ موقفاً من الغرب. على أي حال أسمحوا لي أن أقول لكم ماذا يعني علم الاستغراب؟

ماذا يعني علم الاستغراب:

اشتقاقاً استغرب من لفظ الغرب استغراب مثل الشرق استشرق إستشرق لكنه ليس ضد الإستشراق هو استكمال لحركة التحرر العربي؛ فلا يكفي لحركة التحرر أن نتحرر من قوات الاحتلال ولكن نتحرر من أن نكون أشياء وموضوعات للدراسة. فإذا لم تنتفض الذات باعتبارها ذاتاً قادرة على الرؤية والبصيرة والحكم فإنها تحول نفسها إلى شيء. انظر ماذا فعل الغرب أخذوا الحضارة وحولوها إلى موضوع للعلم مثل **Estology & Egyptology** ولم نستطع حتى الآن أن نؤسس **Amiricanology & Westology** فلماذا لم يتحول الغرب إلى موضوع للعلم؟ لأن الغرب في رأيي أنه ذات، هو الذي أسس المعرفة وهو الذي أسس المناهج وبالتالي منه نأخذ العلم وهو لا يتحول إلى متحف، فهناك متحف للمصريات، ومتحف للهنديات ولكن لا يوجد متحف للغربيات، فلا يسمح الغرب أن يكون موضوع لمتحف ويتحول إلى شيء.

"جان بول سارتر" في رأيه أن الندرة عندما أنظر إليك أحولك إلى موضوع أشيئك، وهذا ما يفعل الغرب مع غيره من الحضارات يُشَيء غيره من الحضارات ويحولها إلى موضوعات، والشيء ليس هو الحياة وإنما الذات هي الحياة، والغرب عندما ينظر إلى الحضارات يحول الحضارات إلى حضارات متحفية ميتة يصف بدايتها وتاريخها وعلومها إلى آخره لكنها شيء من الماضي والتاريخ.

والغرب في العصور الحديثة هو الذي وضع نظرية المعرفة وبالتالي هو الذي يرى ولا يرى. صدر كتاب "البروما ومارجولس" سنة 2004 يسمى التيارات المعادية للغرب ويعني بها التيارات الإسلامية دون أن يشير إلى كتابي الذي صدر سنة 1991. والاستغراب ليس معادياً للغرب ولكنه فقط يضع السؤال الآتي، هل يمكن تحويل الغرب من مصدر للعلم لكي يصبح موضوع للعلم؟ نحن الآن في موقفنا أمام الغرب أنه مصدر للعلم نرسل له طلابنا ونترجم

مؤلفاته ونتعلم منه فهو مصدر للعلم. منذ أن أرسل محمد علي الشيخ الطهطاوي إلى باريس وغيرهم ومازالت علاقتنا بالغرب هي هذه العلاقة علاقة التلميذ بالأستاذ، ولكن إلى متى وإيقاع الترجمة أبطاً بكثير من إيقاع التأليف مهما ترجمت إيقاع التأليف في الغرب أسرع بكثير من إيقاع الترجمة وبالتالي تصاب بالصدمة الحضارية لأنك تعلم في يوم من الأيام بأنك لن تستطيع اللحاق بهذا الغرب المبدع وتبقى بدورك في التاريخ باعتبارك مستهلكاً المعارف وليس مبدعاً لها. هذا هو الوضع المأساوي الآن وأكبر مشروع ثقافي عربي "المشروع القومي للترجمة" ومن أيام طه حسين حتى الآن وفي الخليج لا توجد إمارة خليجية إلا ويوجد لديها مشروع قومي للترجمة في دبي والشارقة وفي بيروت "المركز القومي للترجمة" ومتصورين أن ناقل المعرفة هو عالم، وناقل المعارف في معارفنا القديمة هو الحافظ. على أية حال علم الاستغراب يريد أن يبدل العلاقة وأن لا يكون الغرب مصدراً للعلم بل يصبح موضوع للعلم .

هو ليس بمفرده علم الاستغراب هو جزء من مشروع أعم وهو التراث والتجديد، والجهة الثانية من مشروع التراث والتجديد هو استكمالاً لحركة التحرر العربي الثقافي وأنا في اللحظة الحضارية الراهنة أعيش بين حوائط ثلاثة لا أستطيع منهم فكاكاً :

الحائط الأول:

هو التراث القديم: نشأ في عصر وأنا أعيش في عصر آخر، نشأ في عصر الفتوحات وأنا أعيش في عصر الانكسارات، روحي وعقلي في عصر وبدني في عصر آخر وبالتالي أستشق ثقافة لم تعد تعبر عني لا فقهاً ولا كلاماً ولا تصوفاً إلى آخره تحتاج إلى إعادة بناء وهذه هي مهمة الحركة الإصلاحية وبالتالي فالضلع الأول لهذا المثلث هو: كيف أستطيع أن أعيد بناء تراثي القديم بحيث يكون هناك تطابقاً بين ثقافتني وعصري وألا أعيش في عصر الهزائم وأستشق وأتعلم وأعلم ثقافة الانتصارات، وعندما أتحرك من تقليد القدماء يأتي علم الاستغراب حتى أكمل حركة التحرر ولا أقع في تقليد المحدثين.

تقليد المحدثين:

لا يعني تركي تقليد القدماء أن أنتقل بالتبعية لتقليد المحدثين، وبالتالي لا أرى تغيير يذكر بل هو تقليد ولكن مع اختلاف السيد الذي أقلده. ولا فرق بين السلفي والعلماني إذا كان كل منهما مقلداً، الأول يقلد أحمد بن حنبل وابن تيمية والثاني يقلد ديكرت. إذا علم الاستغراب يهدف إلى استكمال حركة التحرر وألا أقلد الغرب وأن أمارس عملية التعلم والدراسة والرؤية والبصيرة لهذا الذي أصبح مصدراً للعلوم في العصور الحديثة.

الجهة الثالثة والأخيرة:

وهي الواقع الذي أعيشه لأنني لا أريد في الجهة الأولى وأنا أتعامل مع النصوص القديمة، ولا وأنا في الجهة الثانية وأنا أتعامل مع النصوص الحديثة أن اكتفي بهذا وأكون كما قال "جاك بيرك" علينا أننا حضارة نص، حضارة لا تستطيع أن تعيش إلا مع نص. أو كما قال محمود درويش: واحتمى أبوك بالنصوص فدخل للنصوص. أريد أن أغوص في الواقع نفسه وأنظره تنظيراً مباشراً وأحوله إلى نص جديد، وأثير العديد من التساؤلات عن ماذا يعني الاستعمار؟ ماذا يعني التخلف؟ ماذا يعني القهر؟ ماذا يعني الطغيان؟ ماذا تعني التنمية؟ لا أكتفي هنا بإعادة تأويل نصوص قديمة أو ترجمة نصوص حديثة من الغرب بل أساهم في إبداع النصوص وزيادتها بالجهتين الأوليين أكون مؤولاً وفي الجهة الثالثة أكون في موقف المبدع. إذا علم الاستغراب هو جزء من كل، والجهة الثانية التي بعد الأولى وقبل الثالثة هي الجهة التي أستطيع أن أقوم من خلالها بحوار الثقافات وحوار الأديان نظراً لأن الغرب هو الذي أصبح الآخر بالنسبة لي حالياً.

علم الاستغراب أيضاً يحاول أن يطور مواقف الفكر العربي المعاصر أو الفكر الإسلامي الحديث من الغرب وينقلها نقلة نوعية فمواقفنا من الغرب في آخر مائتي سنة تنحصر في ثلاث مواقف :

- إما أن أنبهر بالغرب وأقع في التكريب وأعتبر أن الغرب هو نموذج التحديث ومن لم يكن غربياً فليس حديثاً وهذا موقف شبل شمئيل، وفرح أنطون، ونيقولا حداد، وإسماعيل مظهر، وفؤاد زكريا كما قال زكي نجيب محمود "شروق من الغرب".
- موقف الرفض كما قال محمد الغزالي ظلام من الغرب، ومحمد قطب جاهلية القرن الـ20 والموقفان متباعداً.
- موقف وسط انتقائي الذي يحاول أن ينتقي من الغرب ما يفيد كما فعل الطهطاوي في فلسفة التنوير، وتوفيق الطويل مع المثالية، وعبد الرحمن بدوي مع الوجودية، وزكي نجيب محمود مع الوضعية، والجابري مع البنيوية، وحسين مروءة مع الماركسية، يأخذون برأيهم منهجاً أو مذهباً ويحاولون أن يقرأوا من خلاله تراثهم القديم لا قبولاً ولا رفضاً.

أحياناً أخشى أن يكون مشروع أسلمة المعرفة يقع في هذا الإطار يأخذ من الغرب التيارات والمذاهب إلى آخره ونعيد قراءتها من منظورنا فما أتفق معنا نقبله وما اختلف لا نقبله. على أية حال هذه المواقف الثلاثة هي ردود أفعال وعلم الاستغراب يحاول أن يتجاوز ردود الأفعال هذه كما قلت وينقل الغرب من كونه مصدراً للعلم لكي يصبح موضوعاً للعلم وهذا شيء ليس غريباً وتم ممارسته قبل ذلك في حضارات سالفة فقد تواصلت الحضارة الإسلامية مع اليونان والرومان غرباً، ومع الهند وفارس شرقاً، ومع الحضارة النبطية شمالاً بنفس الشيء وحولوا الحضارة اليونانية بعد ترجمتها إلى موضوع للعلم وكذلك فعلوا مع الرومان وفارس وفعلوا مع الهند فنحن لم ننزل عن ثقافة الآخرين ولكننا قرأناها وحولناها إلى موضوع للعلم. أدب الرحلات المعروف في تاريخنا القديم كانت هناك نفس المواقف الثلاثة بالنسبة لليونان الانبهار "إخوان الصفا" أو الرفض "ترجيح أسانيد القرآن على منطق اليونان" أو الانتقاء من اليونان التيار العقلاني الطبيعي والعلمي كما فعل ابن رشد.

على كل حال علم الاستغراب هو استئناف لما فعله القديمان مع الحضارات المجاورة ولكن اليونان والرومان وفارس كانت حضارات غابرة ولكن الآن أصبح الغرب هو الحضارة المنتشرة والحضارة الفياضة حتى أكثر من الشرق فأنا لا أشعر بغزو الحضارة الصينية ولا الهندية ولا اليابانية ولا الفارسية كما أشعر بغزو الحضارة الغربية الأوروبية أو الأمريكية.

موقف الفكر الإسلامي من الحضارة الغربية

الفكر الإسلامي ليس لحظة واحدة في تاريخه - وهي اللحظة القديمة - ولكنها لحظات متجددة في كل مرة تتغير فيها الأطر الحضارية التي يعيش فيها الفكر الإسلامي، ومن ثم فتعامل مع الغرب هو جزء من الحضارة الإسلامية لأنهما حضارتان متجاورتان زماناً ومكاناً وحدث بينهما كثير من الحوار والصراع بل الحروب، وهناك تجارب كثيرة لعلمائنا الأوائل في التعامل مع الحضارة الغربية من أمثال ابن رشد وابن سينا. وغيرهم، وأنا سليل هؤلاء الفلاسفة أتعامل مع الغرب أترجم وألخص وأتعلم ثم أتجاوز لأبدع.

وربما أحد أهداف علم الاستغراب أيضاً هو التخفيف من عقدة النقص التي تكونت لدينا من قراءة الحضارة الغربية، فمن منا لا يشعر بعقدة نقص عند قراءته لنتاج الحضارة الغربية علمه، حضارته، عمارته، ثروته فهناك أحساس لدى المواطن في دولنا بأن الهجرة يجب أن تتواصل في اتجاه الغرب شرعية كانت أم غير شرعية ويفضل المهاجر أن يموت غرقاً وتأكله الأسماك على أن يعيش في وطنه، فالغرب أصبح حلماً في ذهنه، وأريد أيضاً أن يتخفف الغرب من عقدة العظمة التي رباها في نفسه تجاهي فمن منا لا يشعر عندما ذهب إلى الغرب بنظرة العظمة في عين الغربي عندما ينظر لي، يكفي لهجتي، يكفي واقعي المأساوي الذي أعيش فيه، يكفي أنني أعيش على معونات سلاحاً وغذاءً ومناصرة في المحافل الدولية فالغرب، ربي في نفسه عقدة

العظمة، ونحن تكونت فينا عقدة النقص. فربما علم الاستغراب يساعد في أن أتعامل مع الغرب الند بالند.

ومن ضمن أهداف الاستغراب أيضاً القضاء على أسطورة الثقافة العالمية فالغرب أو همننا بأنه هو الثقافة العالمية، وأن تاريخه هو تاريخ العالم، وأن تحقيقه للتاريخ هو تحقيق العالم (قديم، وسيط، حديث) برغم أن ما عاشه الغرب في العصور الوسطى من تخلف لم يكن كذلك في الحضارة الإسلامية فقد كانت الأندلس في ذلك الوقت في عصرها الذهبي الذي عاش فيه المسلمون والنصارى واليهود.

أسطورة الثقافة العالمية التي وحدث بين تاريخها وتاريخ العالم وكأن العالم أصبح مجهولاً جغرافياً وكأن لم يعد هناك قارات أخرى وشعوب أخرى لها حضارات في الشرق وفي إفريقيا وفي أمريكا اللاتينية، أريد أن أقضي على أسطورة أن الغرب هو نموذج التحديث فهو أحد النماذج ولكنه ليس النموذج الأوحده. هناك سبل عديدة ومفاهيم أخرى للتنمية مارستها دول أمريكا اللاتينية والصين والهند ولكن الغرب أوحى لنا بأنه الطريق الأوحده وأن التاريخ قد انتهى عنده وأن التاريخ قد اكتمل وأن الإنسانية قد اكتملت وأن القرن الـ19، والـ20 الإنسانية وصلت فيهما إلى أعلى درجة من درجات التطور.

أريد أيضاً أن أقضي على أسطورة المعلم الأبدي والتلميذ الأبدي وأن أقضي على عصر الترجمة الذي طال أكثر من اللازم.

الترجمة القديمة (حنين بن اسحق، وإسحاق بن حنين) استغرقت جيلين حنين وابنه أي 100 سنة القرن الثاني الهجري، ومنذ القرن الثالث بدأ الإبداع وظهر الكندي، أما في تاريخنا الحديث فنحن نترجم عن الغرب منذ مائتي عام منذ رفاعة الطهطاوي وما زالت المسافة والهوة تزيد أكثر بيننا وبينهم.

بعد هذه الأفكار العامة لإعطاء فكرة عن أهداف علم الاستغراب أسمحوا لي أن أعطي بعض نتائجها:

نتائج علم الاستغراب:

أي حضارة لها مصادر ولا توجد حضارة تنشأ من فراغ فالحضارة الأوروبية لها ثلاث مصادر:

- المصدر اليهودي المسيحي
- المصدر اليوناني الروماني
- المصدر الأوربي المحلي (الأساطير الأوروبية خاصة في ألمانيا وفي البلاد الإسكندنافية) والغرب يخفيها ويكتفي بذكر المصدرين الأوليين.
- وهناك مصدر رابع لا يكاد يتكلم عنه الأوربيين أبداً وهو المصدر الإفريقي الآسيوي حتى يثبتوا أن أوروبا نتاج إبداع على غير منوال لا تدين بشيء لآسيا ولا لإفريقيا مع أن أوروبا واليونان أخذوا من الشام وأخذوا من بابل وآشور وأخذوا من مصر القديمة والذي كشف ذلك هو "مالتن بلنار" في كتابه الأخير "أثينا السوداء" ليبين الآثار الإفريقية والآسيوية في الحضارة الأوروبية.

بالنسبة للمصدر اليهودي المسيحي في حقيقة الأمر الذي يحلل أعمال الأوربيين ليعرف مدى تداخل المصدر اليهودي المسيحي يجد أن المصدر اليهودي تغلب على المصدر المسيحي، وأن القديس "بولس" الحبر اليهودي عندما تحول للمسيحية أستعمل كل ثقافته اليهودية للتبشير للدين الجديد وخلق على السيد المسيح كل خصائص القانون الموسوي وبالتالي بدأ الأوربيون المسيحيون يؤمنون بعقيدة الاختيار وبعقيدة الميثاق والعهد فزادت العنصرية فيهم وأصبح الأوربي يشعر كأنه مختار من الله سواء كان مسيحياً أو يهودياً وبأنه له رسالة وهي تعليم الناس

وتحقيق غيره من الحضارات، ففي الوعي الأوربي فكرة الاختيار⁽¹⁾ وأنه ليس ثقافة مثل غيره من الثقافات بل هو ثقافة مختارة وشعب مختار ينصره الله دائماً وبالتالي طغى المصدر اليهودي على المصدر المسيحي ولم يعد الأوربي يؤمن بحب الجار ولا بالقيم المسيحية التي بشر بها السيد المسيح عليه السلام مثل التواضع والرحمة والزهد وأصبح أقرب إلى اليهودية، والذي يعيش في أوروبا يعرف المادية الأوربية وأن الأوربي أقرب إلى اليهودية منه إلى المسيحية.

بالنسبة للمصدر اليوناني الروماني؛ نجد أن المصدر الروماني طغى على المصدر اليوناني وأن في وعى الأوربي أن القوة لها الأولوية على الحكمة والإرادة لها الأولوية على العقل، والغربي يشعر أنه وريث الإمبراطورية الرومانية وليس وريث الحضارة اليونانية، ولذلك يشعر أن البحر الأبيض المتوسط هو ميدانه ميدان عمله وسيطرته وقوته لذلك لا يرى في الاستعمار عيب كما كان الأباطرة الرومان، ولذلك عاد الإسلام عندما بدأ في فتح المغرب العربي ويذهب إلى الشاطئ الجنوبي لأوروبا، وكان مشروع عبد الرحمن الداخل أن يذهب من دمشق جنوباً ويعود إليها شمالاً عن طريق أوروبا، ولذلك شعر الأوربي أن الإسلام منافس له في إمبراطوريته الرومانية.

ونجد أن الأوربي أصبح ربيب السيف أكثر منه ربيب القلم، أما أوربا نفسها - فهذا هو المصدر الذي تخفيه أوروبا - فالأوربي ظل وثنياً في وعيه - صحيح أنه يؤمن- ولكن يؤمن بماذا؟ يؤمن بالمادة، بالتاريخ، بالقوة، ويؤمن بالأوثان التي تعلمها من الأساطير، ولا يؤمن بالإله خالق العالم الذي سوف يحاسب الناس. تجد الأوربي في وعيه هو إنسان يؤمن بالمحسوس بما يراه، يؤمن بالمادة. هذا بالنسبة للمصادر أما بالنسبة للتطور فالوعي الأوربي بطبيعة الحال سار في ثلاث مراحل (قديم - وسيط - حديث).

مراحل تطور الوعي الغربي

القديم :-

هو عصر أباء الكنيسة اليونانية والرومانية وفي العقائد طغت الأساطير اليونانية والرومانية على التوحيد ومن يقرأ كتابات أباء الكنيسة في القرون الخمسة الأولى قبل ظهور الإسلام يرى بالفعل أن الثقافة اليونانية والرومانية طغت على التوحيد الذي بشر به الأنبياء سواء في العهد القديم أو الحديث، باستثناء "أيوس" القس المصري الذي رفض كل ذلك وأراد أن يعود للتوحيد من جديد، وباستثناء المسيحية الأخلاقية التي بشر بها بعض القساوسة المصريين الذين رفضوا الدخول في هذه العقائد المعقدة حول طبيعة السيد المسيح طبيعة واحدة أو اثنتين أو ثلاثة وبالفعل عصر أباء الكنيسة هو استمرار للاهوت المسيحي ولكن من خلال الثقافة اليونانية والرومانية .

الوسيط:-

في العصر الثاني (الوسيط) بعد القرن التاسع الميلادي بدأ التعرف على ثقافة المسلمين وبدأت الترجمة من المعتزلة والفلاسفة ومن علماء الرياضيات والطبيعة وبدأ يظهر بعض المفكرين الأحرار في أوروبا يرفضون كل ما عُرف عن المسيحية من تثليث في عصر أباء الكنيسة ويؤمنون بالإله الواحد القهار الذي له ذات وصفات وأفعال مثل "سيجر" الرشدي اللاتيني الذي رفض كل مظاهر التثليث، وكذلك عرفوا الرياضيات والطبيعات التي ترجموها من ابن الهيثم والخوارزمي وبالتالي في العصر الوسيط المتأخر في القرون الـ 12 ، 13 بدأ

(1) أو كما يقول د. عبد الوهاب المسيري يؤمنون بفكرة الحلولية، وأن الله حل في الإنسان فيأمر فيطاع وكل ما يراه أو يفعله هو الصواب بعينه، يقتل ويشرد 112 مليون هندي في الأمريكيتين ولا عتب عليه، يستعمر يستولي على خيرات الآخرين. {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَأُؤَدَّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (آل عمران: 75).

يظهر لون جديد من الفكر المسيحي تحت أثر تفكير المسلمين وهذا ما يعترف به الأوروبيون أنفسهم .

العصر الحديث:-

أما في العصر الحديث الذي يمتد حوالي خمسة أو ستة قرون منذ القرن الـ 14 عندما عادوا إلى الآداب القديمة وفضلوا بعض أساطير اليونان على أقوال آباء الكنيسة اعتزازاً بالإنسان وكرامته ثم في القرن الـ 15 في الإصلاح الديني وكل ما قاله "مارتن لوثر" إنما هو تعبير عن ما عرفه من المسلمين، وأنا قمت بدراسة نصوص "مارتن لوثر" عن الإسلام، فهو أراد أن يتعلم العربية ليعرف كيف نجح الإسلام في التخلي عن الوساطة بين الإنسان والرب؟ وكيف أستطاع الإسلام أن يدافع عن حرية التفسير؟ وكيف أستطاع أن يضع الإيمان في القلب لا في الشعائر إلى آخره، وبالتالي فالإصلاح الديني هو أحد مآثر الترجمات والاتصال بين الغرب والمسلمين. في القرن السادس عشر عصر النهضة حدث نفس الشيء كل فلسفة عصر النهضة كانت تدور حول الإنسان وكرامته وحرية وعقله واستقلاله، وكأن المعتزلة تعود من جديد للتوحيد والعدل فإذا ما أتينا إلى بدايات العصور الحديثة منذ ديكارت في القرن السابع عشر هناك دراسات عديدة تقارن بين المنقذ من الضلال وبين تأملات الفلسفة الأولى لديكارت لكي تميز كيف أن ديكارت عرف الشك عند الغزالي وكيف أن المنقذ من الضلال تُرجم إلى اللغة اللاتينية، وكيف أن طريقه في الذهاب من الشك إلى اليقين ومن المعرفة الحسية إلى المعرفة العقلية إلى المعرفة اليقينية كان هو طريق المسلمين.

"اسبينوزا" نفس الشيء في رسالته في اللاهوت والسياسة له رسالة إلى صديقه "جولدن بوج" يقول فيها: يا صديقي أنت تسألني كيف نصلح الكنيسة؟ نصلح الكنيسة المسيحية؛ عندما نتبنى نظام الكنيسة الإسلامية، أي لا كنيسة.

أصبح الإسلام نموذجاً للتفكير عن وعي أو عن لا وعي عند مفكري الغرب في بداية العصور الحديثة (ديكارت، والسينوزا)، والذي يقرأ "ليبلس" وله دراسات عديدة في العدل الإلهي، والعدل الإلهي عند المعتزلة وكيف أن المفكرين الأحرار في الغرب في القرن السابع عشر إنما كانوا تحت أثر المعتزلة، وكيف أن جاليلو ونيوتن عرفوا الخوارزمي والرياضيين العرب، وفي القرن التاسع عشر الرومانسية الألمانية كانت معجبة أشد الإعجاب بالتصوف الفارسي والإسلامي معجبة بسعدي والرومي وحافظ وهذا ما يبدو من مؤلفات هيجل وشيري وفي ديوان الديوان الشرقي للشعر الغربي نجد أن "جلدا" أصبح أن الإسلام بالنسبة له أصبح نموذجاً للرومانسية ونموذجاً للحياة الوجدانية والتوحيد.

وعندما نصل إلى العصور الحديثة التي بدايتها "أنا أفكر" كوجدوا، وكوجدوا نوم "موضوع التفكير" لديكارت، وفي رأيه أن الوعي الأوروبي قد أكتمل له بدايته وله نهايته، وأن العصور الحديثة مستحيل أن تحيا وأن ما يعرف بالحدثة الأوروبية لم يعد لها مستقبل، وأن الدورة اكتملت لذا كثرت نظريات نهاية الحضارات ونهاية الفلسفة ونهاية العلم، والكل يشعر أن الغرب قد أنهى دورته الآن والذي يقرأ فلاسفة التاريخ في القرن الـ 20 يجد أن الكل ينتهي إلى نفس النتيجة شبنجلر (أقول الغرب) وأن الغرب قد انتهى وقد أكمل دورته، وبانكسون يقول في الغرب: إن هذا العالم ما هو إلا آلة تصنع آلهة طوال الوقت مرة العلم ومرة العقل ومرة الإنسان. وبول أزار يتكلم عن أزمة الوعي الأوروبي، ماتشليتر يتكلم عن قلب القيم وأهم ما تميز به العصر الحديث أن القيم قد انقلبت، راسل يتكلم على أن الحضارة الغربية في محنة، توينبي يتكلم على أن الحضارة الغربية تحت المساءلة، نيتشة يتكلم عن العدمية التامة التي انتهت إليها الحضارة الغربية، نيتشة توفي عام 1900 أن الله قد مات وعاش الإنسان وسنه "1950" روران بارت قال: إن الإنسان أيضاً قد مات ولم يعد أحد يعيش.

وبالتالي انتهت الحضارة الغربية إلى العدمية المطلقة في بعض كتابات الحديثين، أو ما بعد الحديثين أو التفكيكيين "دردا" في رأيه أن العقل لا يفكر إنما الإنسان يبدأ بوحداث كتابية

ليس لها معنى وتشعر أنه لم يعد عند الأوروبيين شيء يقولونه، وبالتالي الحضارة الأوروبية في العصور الحديثة إذا كانت قد بدأت في القرن السابع عشر مع ديكرت فإنها انتهت في عصر الحديثين.

لو أردت أن أصف العقلية الأوروبية بنبويًا وليس تاريخيًا نجد أنها عقلية مُفرقة إما أو وليس معاً هل أدرك العالم عن طريق العقل (اتجاه عقلي) أو أدرك العالم عن طريق الحس (اتجاه حسي) أو أدرك العالم عن طريق الاثنين بالإضافة إلى الوجدان. لكن لا توجد نظرة تكاملية عند الأوروبي يري أن يرد الكل إلى أحد أجزائه في نظرية المعرفة من الشيء إلى نقيضه إلى المركب منهما هذا الذي سماه هيجل الجدل، يبدأ بالعقلانية ثم بالحسية ثم بالعقلانية الجديدة ثم بالحسية الجديدة، يبدأ بالكلاسيكية ثم الرومانسية ثم الكلاسيكية الجديدة ثم الرومانسية الجديدة يبدأ بالمثالية ثم الواقعية ثم بالمثالية الجديدة ثم بالواقعية الجديدة لا يرى العالم إلا من وجهة نظره. كتابات الأخوة المرحوم إسماعيل الفاروقي وأخي الدكتور عبد الحميد أبو سليمان وسيد قطب ترى فيها النظرة الإسلامية أي النظرة الكلية للأمور والنظرة الشمولية ربما هذا من آثار التوحيد.

يتجهون إلى النظرة المادية ثم الصورية الجديدة ثم المادية الجديدة في المنطق وإذا نظرت إلى النظرة العقلانية في الغرب تجدها عقلانية صورية فارغة وكأن العقل لا يستطيع أن يدرك المضمون وجوهر الأشياء وإذا قرأت أشياء عن الطبيعة فإن الطبيعة هي بالضرورة مادة وليست طبيعة حيوية ولا إنسانية كما هو الحال في الطبيعيات عند الفلاسفة.

الآن وحتى لا أطيل عليكم هناك تحولات أساسية في العالم وهذه أهمية علم الاستغراب من يدري ربما الغرب قد بدأ وانتهى، ربما العصور الحديثة قد بدأت من أربع أو خمسة قرون والآن شارفت على الانتهاء، هذا ما يسمى نظريات ربح الشرق أن الطائر العنقاء قام من الصين القديمة وطار فوق الهند ومابين النهرين وفارس ومصر واليونان والرومان والغرب الحديث وحط ثم يبعث من جديد لكي يعود إلى مصدره في الشرق الأول.

إن حركات التحرر من الاستعمار التي شهدناها في القرن العشرين وكيف استطاعت في عشرين عاماً أن تقضى على استعمار طال أكثر من قرنين من الزمان الحركات التحررية في أفريقيا واسيا. رأينا شافيز ماذا يفعل وكيف أن ثلاثة أرباع سكان العالم غير أوروبيين يمثلون إنسانية جديدة بما لديهم من ثروات وإمكانيات مادية وأسواق وعقول وسواعد لا توجد منطقة يتكلمون فيها عن النهضة والتجديد والتحديث كما يوجد في وطننا العربي والعالم الإسلامي ورأينا ماذا تفعل تركيا وإيران.

إذن لماذا تكون فلسفة التاريخ حكراً على الغرب؟ ولماذا الغرب هو الذي يحقها ويضعني فيها ويجعلني في العصر الوسيط وهو في العصر الحديث؟ لماذا لا ينشئ منا مفكر عربي إسلامي يعيد صياغة فلسفة جديدة للتاريخ ويحقب العالم بحيث يأخذ المنظور الإسلامي بعين الاعتبار؟ ولماذا نتوقف عند ابن خلدون، وابن خلدون بحق ظهر في القرن السادس وهو يؤرخ للحضارة الأولى في فترتها الأولى، كيف قامت وكيف نشأت العلوم وكيف ظهرت؟ وله نظرياته في ذلك من البداوة للحضارة إلى البداوة من جديد ومرت سبعة قرون أخرى بعد ابن خلدون أين ابن خلدون الجديد الذي يؤرخ لسبعة قرون تالية من منظور أوسع لفلسفة التاريخ فأنا الآن في بداية القرن الخامس عشر في حاجة إلى أن أضع نفسي في تاريخ جديد وأحقيه من منظوري .

ربما أنا في نهاية السبوعية الثانية وأبدأ سبوعية ثالثة لا أعياها من يدري أن المقاومة الفلسطينية والمقاومة العراقية والأفغانية وكل مظاهر الحياة من انتكاسات ربما هذه مؤشرات إيجابية على أننا على أعتاب سبوعية ثالثة فلسطين حافز سبتة ومليلة، لا توجد حضارة ولا شعب يتحدث عن الماضي والحاضر والمستقبل كما نفعل نحن، الصحة الإسلامية ربما هي مؤشر لذلك يهتم بها الغرب أكثر مما نهتم.

إذاً علم الاستغراب هو في الحقيقة وعي بالتاريخ وفلسفة للتاريخ مع مزيد من العلم والبرهان. الوعي العلمي هو الوعي الثقافي المعرفي والوعي الثقافي هو الوعي السياسي، والوعي السياسي هو الوعي التاريخي والوعي التاريخي يتبلور في الوعي الفردي قبل أن يصبح وعياً جماعياً من خلال المؤسسات والجمعيات والجماعات التي أرجو أن يكون معهد المعارف الفلسفية واحداً منها .

شكراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أ. د. رفعت:

شكراً للدكتور حسن حنفي ليس على المحاضرة فقط إنما هي مجموعة من المحاضرات شرح فيها الكثير من القضايا لعل القضية الأولى هي الإيمان والعلمية وهو أمر يستحق الحوار والمناقشة بعد ذلك موضوع علم الاستغراب ومن الأفكار الجيدة جداً التي طرحها أن الغرب يشيئ الأشياء وهي قضية نعاني منها مع الغرب، وطرح أننا نريد أن نحول الغرب من مصدر للعلم إلى موضوع للعلم وقضية علاقة الاستغراب بالتجديد، وموقف علماء المسلمين قديماً وحديثاً من الحضارات الأخرى وهي فكرة هامة جداً وأيضاً كيف تطور علاقتنا مع الحضارات الأخرى بحيث يستفاد من ذلك وطرح قضية نشعر بها جميعاً وهي الإحساس بعقدة النقص مع الغرب . أيضاً القضاء على الثقافة العالمية الواحدة والغرب منذ بداية العولمة عام 1989 وقلت أن أخطر ما فيها طرح الثقافة العالمية الواحدة وأسمح لي أن أقول إن من أخطر الأشياء الهزيمة الثقافية أمام ثقافة الغرب وخاصة في التعليم.

طرح أيضاً قضية أن الغرب ينظر إلينا على أنه الأستاذ الأبدي ثم تكلم بأستاذية عن مصادر الحضارة الغربية، وطرح ما ينبغي أن نعمل عليه في مجال البحث وهو علاقة "مارتن لوثر" بالفكر الإسلامي وهي قضية تستحق أن نحصل فيها على مراجع ومصادر وأعتقد أن هناك من يخلط بين الرأسمالية ومارتن لوثر فنحتاج بعض المصادر التي نتعامل معها للوصول لذلك.

كما طرح قضية أن الغرب قد أخذ من الشرق وطرح أسم ديكرت وهي قضية تستحق أن نتناقش حولها، وأعجبتني فكرة أن الغرب قد أدى دورته وفي الغرب يتكلمون الآن عن الأزمة الاقتصادية الحالية بخوف من أن هذه الأزمة قد تؤدي إلى انتقال الحضارة ونتمنى أن تكون هكذا وذكر التحولات الأساسية في عالمنا الآن وأن ما يحدث قد يكون مؤشر لصحوة فنحن أمام محاضرة فتحت قضايا رئيسية وألان نسمع تعليقاتكم.

أ. د. فتحي ملكاوي (المدير الإقليمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي)

بسم الله الرحمن الرحيم

أظن أن معظم المتحدثين سيبدأون بالشكر الجزيل على هذه المحاضرة وأنا سأحدث عن نقطة واحدة فقط وهي أننا قلما أن نجد فيمن يتحدثون في المنتديات المختلفة من يفتحوا أمامنا شيء من الأمل فالواقع مؤلم والأزمات معقدة إلى حد لا يكاد الإنسان أن يري باباً للأمل، مثل هذه المحاضرة تفتح أبواب الأمل ولكن يا سيدي كأنها مرتبطة بالآخر والتحويلات الكبرى والانتقال في الحضارات صحبتها قوى ومظاهر قوة مادية فهل ترى في إمكانية التحول - على الأقل - إلى غير الغرب هل ترى بوادر احتمالات بناء قوى جديدة تحمل معها روح نهضة بديلة للغرب؟

أ. د. عبد الرحمن النقيب

السلام عليكم ورحمة الله

هل إذا تحول الغرب إلى موضوع للبحث هل فعلاً مثل هذا العلم سوف يزيج تلك الهالة عن الغرب؟ لأن كثيراً منا درس الغرب وظل مقتوناً به وكثير من درس الفلسفة في الغرب والفكر الغربي ولم تحدث له هذه القناعة وما زال الإحساس بالعظمة الغربية والتفوق الغربي والعملقة الغربية. سؤالي هل تحويل الغرب لموضوع سيزيل عنه الهالة أم ربما لا يزيلها؟ وشكراً

أ. محمد

أستاذنا الكريم بارك الله فيك على هذه المحاضرة وسؤالي: ما هي الأدوات المنهجية التي يستخدمها مثل هذا العلم وهل هناك أدوات جديدة أنتجت لهذا العلم وهل يقابل نهايات الغرب بدايات الشرق؟

أ. د. يمني طريف الخولي

الاستغراب موضوع صعب ومشروع ضخم صعب أن نحيط به في ساعة من الزمن وعمالقة الفكر أنكروا هذا المشروع في السبعينات ومع الحلم القومي المتصاعد الذي كان يعبر عن اتجاه عام في الفكر العربي المعاصر وهو تعلق الآمال بأفول الحضارة الغربية وهو اتجاه سار فيه أستاذنا إلى آخر المدى وطرق كل شيء يمكن أن يكون عاملاً مشتركاً وأهدافاً إنسانية عامة يمكن أن تحقق للأخر أهدافه ولكن الآخر هو الذي بدأ بالعدوان من خلال حملة فريزر والحملة الفرنسية وسؤالي لأستاذي الكبير، الغرب وثني في أعماقه ولكن ألا يعني هذا أن العنصر الأصلي اليهودي غزو فكري نشأ في بيئة غير بيئته وحضارة غير حضارته فكان غزواً فكرياً.

الملاحظة الثانية لا أقارن بين وضع الترجمة الآن ووضع الترجمة عند أوائل المسلمين، المسلمين تعاملوا مع دولة حضارة انتهت أما نحن فالحضارة الغربية ليس لها آخر فالترجمة لن تنتهي.

أ. جوزيف بسكتوري (إيطالي وباحث في الإسلام)

أنا في قلب الموضوع وأشكر الدكتور حسن على المحاضرة ولى بعض الملاحظات أنا أحب دائماً عندما نتكلم عن الشرق والغرب بمفاهيم مجردة يكون هناك نوع من المبالغة هل فعلاً هناك غرب بجوهر لم يتغير أم هناك غروب وأنا طبعاً من الغرب.

وبالنسبة لمصادر الحضارة الغربية فأنا درست في الثانوي والجامعة وكان هناك دائماً اعتراف بأن الحضارة الغربية أخذت من مصادر مختلفة ومنها المصادر الإسلامية وأنا درست لأين رشد وأنا أدرس الفلسفة في الغرب، هل هناك سمة للغرب أنا أرى أن هناك تناقضات كبيرة جداً في الغرب بين التيارات الفكرية فمثلاً الإصلاح بعد العصور الوسطى

هناك انتقاد شديد للعصور الوسطى من الغرب وكذلك عندما ندخل للعصر الحديث مع ديكارط والفلسفة الحديثة حيث العقل يأخذ مكانة كبيرة نجد أن هناك انتقاد للغرب من الغرب وأنا أتساءل هل هناك حضارة أخرى انتقدت ذاتها كما أنتقد الغرب نفسه فالليبرالي ينتقد الماركسي والماركسي ينتقد الليبرالي. وشكراً.

أ. عمرو الكاشف (وكالة أنباء الشرق الأوسط)

في الحقيقة أن علم الاستغراب من العلوم الهامة فهل يمكن ربط علم الاستغراب بإسلامية المعرفة بحيث إن كل العلوم التي نأخذها من الغرب نضعها في إطار إسلامي لتكون مستقبل لوحدة إسلامية فأمريكا في بداية تاريخها تعرضت لغزو من بريطانيا فتحالفت مع دول أخرى فما المانع أن يتحالف العرب مع قوى خارجية كروسيا والصين وأن يكون هناك تحالف خارجي لنحارب الغرب بالتحالف المعرفي وتحالف القوى في نفس الوقت وشكراً.

مداخلة أخرى:

الطريق الأول طريق تقليد القدامى والطريق الثاني تقليد الغرب والطريق الثالث التنظير المباشر للواقع.

وأنت ترى أننا لو اخترنا الطريق الأول والثاني ضللنا والطريق الثالث هو التنظير المباشر للواقع ثم أنت تدعونا لعلم الاستغراب فكأنك تدعونا لطريق رابع أنت تقول ونحن نوافق على أن الغرب عنصري وعدواني واستعماري. ما الجدوى الآن أن ندرس الآخر ونحن فشلنا في دراسة أنفسنا وما الجدوى أن نتوجه للآخر ونحن لا نعرف أنفسنا ونحن ضللنا واقعنا كأنك بعد أن دلتنا على الطريق الثالث تدعونا لطريق آخر نضل عليه كما ضللنا على الأصل ما الجدوى هل هذا ترف فكري سابق على أوانه أم طموح غير مبرر الآن؟

أ. محمد العكرمي (باحث بدار العلوم)

في الحقيقة مع استبشاري بالمحاضرة وما فيها من أمل إلا أنني في خوف ألا يكون المسلمون حاملين لرؤية الحضارة في الفترة القادمة لأن تسلّم الرؤية له إمكانيات واستعدادات هل نحن المسلمون الآن نستطيع أن نتسلم رؤية الحضارة من الغرب؟ وهل عندنا إمكانيات ثقافية وعلمية مع أننا نملك الكثير من الفكر والنضج ولكن هل نفسيتنا التي استغرقتنا عقدة النقص تملك التحرك الآن؟ وكيف يتسنى لنا ونحن مسلمون أن نقود ما هو الحل هل الوقوف على أبواب الغرب بالاستغراب سيكفيها للنهوض ونحن أقطار حضارة روحية أم كيف يقود المسلمون مرة أخرى؟

أ. علاء حلمي (كلية الآداب جامعة القاهرة)

عندما طلبت منك كتابة إهداء على أحد كتبك كتبت لي إلى الصديق علاء إلى أن يشد عودك في المقاومة. وسؤالي من خلال هذه المحاضرة ألا نلمس مروراً سريعاً على الجوانب السياسية في تحولنا نحو الغرب أو تحول الغرب نحو العلم عندما تناولت موضوع الترجمة مررت مروراً سريعاً على الترجمة قديماً وحديثاً فلم تذكر أن الترجمة قديماً كانت في ظل دولة قوية ونظام سياسي قوي وكتاب ومنهج لذلك كان الغرب موضوع للمعرفة وليس مصدر للمعرفة أما الآن فالأنظمة السياسية بالية لا تؤهلنا لكي نجعل الغرب موضوع للعلم.

د. محمد صالحين أستاذ الفلسفة الإسلامية جامعة المنيا

أستاذي العزيز ما هو تقييمك لنصوص كثيرة للأديب الألماني الكبير "جوته" والتي يمتدح فيها الإسلام ونبي الإسلام وكتابه وهل هذا مجرد إعجاب ذاتي به أم إنه إرهاب لقبول الإسلام مبدئياً وأين ثماره الإيجابية بعد عقود كبيرة من الزمن؟

خالد عبد المنعم

أرى أن السياق في المحاضرة يسير في طريق أن الغرب يجب أن ينتهي وينهار حتى نقوم نحن. لماذا لا يتحول الغرب إلى أمة للدعوة؟ لماذا يجب أن يأفل الغرب لنقوم نحن؟

مداخلة أخرى:

سؤالي هو ما ضمانني عندما نبدأ في تأنيث علم الاستغراب ألا نحوله إلى أيديولوجية وأن ننظر إلى الغرب نظرة غير علمية بحتة ونرى ما هو عندنا من العيوب من الناحية الحضارية ونقترب من الحقائق ولا نصادر الآخر وشكراً.

أ. احمد حمدي (مدرس بالأزهر)

جننت وأنا أظن أن الموضوع يدور حول علم الاستغراب وفوجئت بأن موضوع المحاضرة غير ذلك وعندما فكرت ملياً وجدت أن المشكلة هي نفس المشكلة فالاستغراب بمعنى التفاعل مع الغرب يحدث نفس النوع من الغربة والغرابة والاقتراح هنا لماذا لا نوثق علم جديد من الممكن انبثاقه من العلم الذي نتحدث عنه يمكنه هو كيف يتعايش المفكر والمبدع العربي مع مجتمعه الرافض له والمتهم له بالخبل والجنون؟

أ. عبد الرحمن صالح

موضوع تعاقب الحضارات سنة كونية وهو شيء طبيعي وعملية الانتقال من المشرق للغرب شيء طبيعي جداً فتعاقب الحضارات يحدث وعلينا أن ننظر للغرب من ثلاث نواحي :

- غرب حضاري نستطيع أن نعمل ونطور ونستفيد من هذا الجانب
- الإنسان الغربي البسيط
- الغرب المتمكن المسيطر الذي يسيطر على السياسة ويغيب الكثير من الحقائق وعلينا أن ندرس كيف نستفيد من الفكر الغربي دون الدخول معه في مواجهة

أ. د. عبد الحميد أبو سليمان

بسم الله الرحمن الرحيم

في الواقع نشكر الدكتور حسن ليس فقط على المحاضرة العميقة والتي كنت أسمع تعليقات كثيرة يصعب إدراكها في حالة عدم الفهم التي تحيط بنا. المحاضرة ترى المستقبل وأنا متأكد أن الدكتور سيوضح كثير من النقاط وهذه المحاضرة أعادتني إلى عهد الشباب في الستينيات حيث التقينا في فيلادلفيا في الولايات المتحدة وكان أستاذنا للدراسات الإسلامية وكنا نتحدث أنا وهو في مواجهة الدكتور إسماعيل الذي كان متفاهلاً دائماً.

قضية الاستغراب في الجامعة العالمية في ماليزيا أنشأناه كتخصص جزئي والنظرة إليه كانت لأنه كان هناك شعور في الأمة بالحاجة إلى التغيير والنهضة باتجاه الإنسانية لأن الإسلام يحمل هذه الرسالة فدراسة الاستغراب لا بد منها لدفع حركة الاستنهاض في الأمة فنحن إما نعيش في التاريخ أو مقلدين ولكن لا نعبر عن الأمة.

الحضارة الإنسانية في أزمة الصراعات التي لا حد لها ولا شك أن الرؤية المادية الكونية الغربية ذات توجه مادي وقانون الغاب وتكاتف السلالة أما مفهوم الإسلام هو العدل والغرب

سياسات قوة ومصالح قومية والحيوان لا أخلاق له والحرية في الغرب تكسر القيود التي فرضتها الكنيسة إلى أن حلت الفوضى .

والإنسان في أزمة والجواب في الإسلام هذا المفهوم مفهوم السلام والإخاء هو عكس تماماً القومية والعنصرية وانهيار الأخلاق وقد شرح الدكتور هذه الجذور على الأقل برأي مفكرها والبحث في مختلف الجوانب لأن الإنسان المسلم يدرك أن مبادئ الإسلام صحيحة فكيف تفعل هذه الرؤية التي ليس فيها عدا للغرب ولكن استنقازاً للغرب هل ترى كيف يسحق الشعب الفلسطيني كالذباب كيف يقف ضمير العالم ينظر كما في غيرها من الصراعات ما قاله د. حسن هو في طبيعة الأزمة الإنسانية وتأكيد القيم الإنسانية لا نريد زيادة الإحساس بالخضوع هل نحن الذين نعتدي أين العدل والإنسانية هذا كله يطرح جانباً مقابل النظرة المادية المسيحية أصبحت أساطير واليهودية عنصرية وهذا ما تعانیه الإنسانية الآن نحن بالفعل نحاول أن نحل أزمة عالمية وشكراً والسلام عليكم ورحمة الله.

ردود أ.د. حسن حنفي

في البداية أنا شاكر لكل هذه الملاحظات ولن أستطيع الرد عليها كلها بالتفصيل ولكن على أي حال أسمحوا لي أن أعطي تعريفاً عاماً أنا لم أقل أن الحضارة الغربية تنتهي وأن حضارة أخرى قادمة بل حاولت أن أشرح بعض كتابات فلاسفة العصر الحديث الذين ينعون على هذه الحالة من الخضوع للحضارة الغربية ويقولون أنه إذا لم يلحق الغرب بنفسه فستكون بداية النهاية وأنا لم أقل أن المسلمين هم الذين يرثوا بل قلت أن هناك مؤشرات في بلاد أخرى خارج الغرب أكثر نشاطاً وأكثر حيوية في أمريكا اللاتينية إيران وتركيا، وتبين أن هناك احتمال أن روح العالم تتشكل من جديد خارج الدائرة الأوروبية، ولكن ضعف الآخر يعطينا القوة لا فالقوة ذاتية والذي يزور العالم الإسلامي وأنا أفعل ذلك باستمرار يشعر أن هناك العديد من التساؤلات حول الحاضر والماضي والمستقبل، ولم أجد فرنسياً يتحدث عن حاضر أو حاضر فرنسا لكن أجد ذلك في أند ونسيا والهند وتركيا والسؤال يدل على أن الأمة حية وأنها تتحرك .

هل هناك قوة بديلة للغرب؟

الذي يشاهد ما يحدث في أمريكا اللاتينية في بوليفيا والبرازيل وفي فنزويلا والذي يعرف ما الذي يحدث في إيران وماليزيا واليابان والهند والصين يجد أن العالم أوسع بكثير من الدائرة الغربية.

هل تحويل الغرب إلى موضوع سيزيل الهالة؟

سيشجع الذات أن تعتر بنفسها كذات ناجزة يعني أن الذات عندما تكون موضوعاً باستمرار وتوضع في متاحف باستمرار والغرب يشيئها فإنها لا تعي نفسها فالوعي أي الذات غير الشيء غير الموضوع فالغرب لن يرضى أن نضعه في متحف فهو الذي يرى وهو الذي يحلل وهو الذي يدرك وهو الذي يصمم المتاحف للحضارات القديمة الأخرى لكن تحويل المسلم إلى ذات واعية بمساره التاريخي الطويل ربما يساعده على التمكن من قواه الذاتية وتاريخنا القديم في علاقتنا باليونان والرومان لم نذب في الحضارة الأخرى وأفضل من كتب عن الهند هو البيروني الذي أستطاع أن يحول الحضارة الهندية إلى موضوع للدراسة دون أن يتخلى عن رؤيته.

كيف يمكن أن يتحول إلى فعل؟

مهمة الجامعات ومؤسسات البحث العلمي والصحافة والإعلام إلى أخره وأن يتحول إحساسك بالتاريخ ويتحول مسارك إلى مشروع بحثي لتستطيع أن تحول ذلك إلى فعل عن طريق

العلم والبحث العلمي وليس عن طريق الخطابة والمحاضرات فقط فليت مراكز البحث العلمي تجعل فلسفة العلاقة بالآخر موضوعاً رئيسياً فيما يتعلق بالماضي والحاضر والمستقبل حتى لا تكون حكرًا على الغرب.

ما هي الأدوات المنهجية؟

سؤال هام ولكن لو استعملت المنهج الوصفي أو التاريخي أو منهج تحليل النصوص أو العقلاني ستقول أنني أخذ ذلك من الغرب ولكن في هذه الحالة سيكون كل إنسان يدرس إنما هو ممثل للمناهج الغربية ومع ذلك الغرب في عصورهم الحديثة أصبحوا حضارة المناهج وهذه المناهج لها أصول خارج الغرب فإذا استعملنا بعض هذه المنهجية فإنها ليست غريبة بالضرورة وأنها لها أصولها الإسلامية والهندية والصينية .

من ناحية الجانب القومي:

ربما نحن جيل التحرر من الاستعمار ونشأنا قادرون على أن نستعيد استقلالنا الوطني أو نحن رد فعل على ما يحدث الآن من انهيار وتشتت وتفكيت وضياح وبالتالي عدم وجود هوية مستقلة لنا ولكننا بطبيعة الحال في التاريخ لا نبتعد كثيراً عن روح التاريخ فالتاريخ له روح وأنا أعبر عن جيل الخمسينات الذي يعتبر بأن له دور في حركات التحرر الوطني. الذي يحلل الكتابات الأوروبية يجد بالفعل أن المادة في عمق الوعي الأوربي وأنه من الصعب على الوعي الأوربي أن يتجاوز عن المحسوس ويتجاوز المادية ولم تؤثر فيه الحضارة اليونانية ولا الرومانية ولا الحضارة اليهودية المسيحية في اكتشاف عوالم تتجاوز المادة ولكنه ظل وثيقاً يتبع الأساطير الأوروبية القديمة ولذلك دراسة الأساطير أي الثقافات الوثنية التي كانت موجودة في أوربا قبل انتشار المسيحية في أوربا تكشف عن البنية الجوهرية للوعي الأوربي .

الترجمة الآن لا تنتهي:

أظن أن هذه فسوة سأظل باستمرار طفلاً لن يصل إلى مرحلة الفطام لو كنت طول الوقت أغذى نفسي بثقافات الآخرين متى سأبلغ. الترجمة ليست غاية ولكنها وسيلة حتى أستطيع أن أشب ثم استخدم الترجمة من أجل الإبداع، لكن استمرار الترجمة يعني أنني سأظل حضارة مستهلكة تابعة فأنا أترجم طوال الوقت طوال خمسة أجيال وإيقاع الترجمة يزداد كما بينت في مشاريع الثقافة العربية.

هل هناك شرق وغرب؟

هناك شرق وغرب حضاري وهناك شمال وجنوب حضاري وهذه أشياء يعرفها مؤرخو الحضارات.

الغرب يعترف بمصادره الشرقية:

الغرب يعترف بمصادره الإسلامية في العصر الوسيط ولكنه لا يعترف بمصادره في بابل وأشور وكنعان في الغرب القديم كثير من الأساطير اليهودية موجودة في كنعان فالغرب لا يعترف بالمصادر الشرقية القديمة وإن كان يعترف بالمصادر الإسلامية.

الغرب ينتقد نفسه بنفسه:

هذا كلام صحيح فالغرب ربي عنده الحاسة النقدية لأنه قلق ليس لديه يقين ثابت وهو باستمرار يبحث ويطور نفسه بنفسه على عكس ما نحن عليه فعندنا اليقين الثابت وبالتالي أنخفض الحس النقدي عندنا.

عندما أتكلم في فلسفات التاريخ فأنا أعمم ولكن كل تعميم مخل فأنا أعلم أن الغرب ليس واحداً فهناك مذاهب متعددة.

إسلامية المعرفة :

هي أن أخذ الحالة الراهنة لعلم من العلوم كعلم النفس أو الاقتصاد أو التاريخ وأحاول أن أدرسه وأنقده بمعايير إسلامية وما اتفق مع هذه المعايير أقبله وما اختلف أرفضه وأيضاً بهذه الطريقة سنتزل إسلامية المعرفة تابعة للثقافة الغربية وهذه البداية ألا نستطيع أن ندفع إسلامية المعرفة إلى تجاوز المعرفة إلى إبداع المعرفة. والسؤال - وهو سؤال مؤتمر الجمعية الفلسفية المصرية في ديسمبر القادم- هل يمكن التفكير في غياب الآخر، نسمي الآخر الوافد هل يمكن التعامل مع الموجود في غياب ثقافة العصر؟ هل يمكن للفلاسفة القدماء أن يفكروا في الله وفي العالم وفي النفس وفي الطبيعة دون أن يكون حاضراً في ذهنهم ثقافات اليونان والرومان والهند وفارس .

حتى في القرآن هل كان يمكن للقرآن أن يفكر في الإسلام دون أن يكون في الذهن المسيحية واليهودية والصابئة والمجوس، يعني ما مدى لزوم الآخر وثقافة الآخر لفهم النفس؟ إذا كان لا يمكن الاستغناء عن الآخر فإن إسلامية المعرفة سنتزل مدة طويلة فالغرب موجود باستمرار والسؤال هو ثقافة الآخر غاية أم وسيلة؟ إذا حولناها إلى غايات يصبح نقل المعرفة أما إذا جعلناها وسائل للتدريب أو التطوير والقراءة ولمجرد أدوات فإنها تصبح أدوات مثل غيرها تتغير ويصبح الغاية هو ثقافة الأنا، فتقافة الآخر هي أداة لتحقيق ثقافة الأنا وليست غايات في حد ذاتها وإلا نصبح ناقلاً للعلم.

على أية حال السؤال سيظل قائماً إذا أردنا تطوير إسلامية المعرفة فهي مرحلة مختلفة نوعياً عما كان موجوداً عما كان سابقاً فماذا نسميها؟

كيف يمكن دراسة الآخر وقد فشلنا في دراسة أنفسنا؟

لا أظن أننا فشلنا في دراسة النفس فيوجد تراث درس ونقل وروجع كما حدث في تراثنا القديم الحديث ولي كتب عن علم الحديث في العلوم النقلية لتطويرها إلى علوم عقلية، اندهشت كيف أن علماء الحديث وضعوا الحديث موضع النقد فأنا أقرأ في جمع الأسانيد لأبين القيم الآن 18 مجلداً لإعادة النظر في كل الأسانيد القديمة فنحن نظن أن الغرب هو الذي ينقد ولكن عندنا نقد وتمحيص وهناك كتب عن الأحاديث الصحيحة والأحاديث المدلسة وكنت أظن أن هذه الأشياء لن تتم.

على أية حال لم أقل أن المسلمين هم المؤهلون لاستلام الراية ففي أمريكا الجنوبية وفي البرازيل معدل التنمية عالي للغاية وسياسياً فنزويلا وبوليفيا تتقدم وليس من المعقول أن الآخرين يدافعون عنا أكثر منا.

كيف نجعل الآخر موضوع للعلم ونحن مهزومون؟

قد يكون ذلك دافعاً لأن يجعلك قادر على دراسة الآخر فالهزيمة أنواع وبالنسبة للهزيمة الثقافية فالحمد لله نحن ما زلنا أقوياء وقادرين على الفكر وبالتالي يمكن دراسة الآخر وأنت في موقف هزيمة .

جوتة والإسلام:

موضوع كبير وضخم وهناك عدة دراسات وهو من أكبر المعجبين بالإسلام فهو من أشد المعجبين بالإسلام، وهو من الرومانسيون الألمان، وبعض الناس تعتبره من المسلمين.

الحضارة الغربية ليست أمنية والبدل ليس أمنية هذا ما يلاحظه كثيرون من أنصار ربح الشرق فهناك مجلد من 18 جزء حيث يؤرخ للحضارة الصينية ويقول أن الصين ربما تستعيد روحها وحضارتها من جديد .

البعض ليس لديه شعور بالنقص لدى الغرب ربما يشعر بذلك لكن على أي حال هذه إحساسات ذاتية.

هل الاستغراب أيولوجية دوجماتية؟

لا أظن لأننا درسنا الآخر وانبهرنا بالغرب وتعلمنا منه أن الأوان أن ندرسه على أية حال العلوم الإنسانية من الصعب أن تجردها تماماً من المواقف السياسية. آخر كلمة هناك تشابه في لفظ غرب، غريب فغرب أستغرب أي أصبح متخصصاً في دراسة الغرب أما الغريب فهذا ليس بنفس اللفظ كل ما نرجوه أن نحول الغرب من مصدر للعلم إلى موضوع للعلم وشكراً.
والسلام عليكم ورحمة الله.

د. رفعت

شكراً لكم وباسمكم نشكر الأستاذ الدكتور حسن حنفي واللقاء القادم يوم الأربعاء 2009/2/18 حول المفاهيم القرآنية في العلوم الاجتماعية والسلام عليكم ورحمة الله.